سينما

«قلْتلّك خلص» لإيلي خليفة

اختبار سينمائي يقلع المشاهدة

في فيلمه الجديد، يروي اللّبناني إيلي خليفة حكاية مخرج يبحث عن حبيبته الهاربة منه، وعن خاتمة لسيناريو يعجز عن إنهائه، وعن خلاصٍ مفقود

نديم جرجوره

اختبارٌ سينمائيّ جديدٌ يخوضه اللبناني إيلي خليفة، بإنجازه «قلْتلّك خلص» (2020). أسبابٌ عدّة تدفعه إلى هذا الاختبار، لكنّ أبرزها كامنٌ في صعوبة الإنتاج أو التمويل. قرار البدء بتنفيذ ما يصبو إليه يحثّه على عدم انتظار إنتاج. تحويل سبب كهذا إلى اختبار سينمائيّ، تَمرينٌ على تطْويع الصعوبات والتحايل عليها، بهدف تحقيق المُبتغى.

سرد حكاية مُخرج يقلق إزاء عدم تمكّنه من إنهاء سيناريو جديد له، ويتخبّط في علاقاته الواقعية والمتخيّلة في آن واحد، تفصيلٌ يُبنى عليه اشتغال يتحرّر من ثقل الإنتاج، ويجهد في تشكيل متتاليات بصرية عن أفرادٍ وحطام ووقائع وانكساراتٍ. يومٌ واحد للتصوير كلّ شهر، و3 أسابيع لتحضير هذا اليوم، ما يُتيح إدخال تعديلاتٍ أو إضافاتٍ على السيناريو. يتطلّب إنهاء تصوير كهذا 20 شهراً، أي 20 أسبوعاً للتصوير («العربي الجديد»، 11 مايو/ أيار 2020).

هكذا يُحدِّد إيلي خليفة اختباره السينمائي الجديد. له النصّ والإخراج، وله دور المخرج في فيلم يُخرجه هو، مُتعاوناً مع ممثلات وممثلين، بعضهم أكثر حضوراً في السينما والتلفزيون من البعض الآخر. فريق تقني صغير، وتركيز على اشتغالٍ، يتناول جوانب من ذات فردية تواجه، وحدها، تحدّيات مهنة وحبّ وعلاقات، وتجد نفسها في مواجهة شخصياتٍ تخرج من تفكير وتخيّلات إلى واقع، لحثّه على خلاصها من اضطراباته.

الحدّ الفاصل بين متخيّل وواقع واهٍ جداً. وفرة الشخصيات تُربك المُشاهدين، قبل انكشاف ما يُزيل ارتباكاتهم. بحثه عن خاتمةٍ لسيناريو غير مُكتمل يترافق، في آنٍ واحدٍ، مع بحثه عن حبيبةٍ (روان حلاوي) يخنقها سلوكه وقلقه وبحثه عن اكتمال المشروع. التداخل بين أناسٍ واقعيين وشخصيات متخيّلة، في سردٍ يمتدّ من أحاسيس إلى تفاصيل ووقائع، يصنع مناخاً من فوضى العيش، وهلوسات روحٍ ونفسٍ، ومشاعر الخوف والتوهان. وفي التداخل هذا، يلهث المخرج في بحثه عن منفذٍ واحدٍ (لعلّه يوهم من يُتابع حكايته ببحثه عن منفذٍ واحد فقط)، لكنّ الدروب تبدو مغلقة، والخاتمة تكشف غير المتوقّع، رغم إيحاء سابقٍ عليها بقليل.

> الفاصل بين متخيّل وواقع واهٍ ووفرة الشخصياتً مُربكة

في السرد، يُصوِّر إيلي خليفة لحظات واقعية ببساطة، تحمل عمقاً انتقادياً ساخراً. علاقته بالمنتج الأساسيّ (جورج كعدي) إحدى تلك اللحظات، المفعمة بدلالاتٍ مستلّة من حقائق، رغم أنّ بعض الإنتاج، اللبناني والعربي، مستقلّ عن حالةٍ استهلاكية تجارية غالبة. النزاع بين رغبات مخرج وطلبات مُنتج جزءٌ من المهنة السينمائية. عرض فيلمٍ للمخرج في صفّ مدرسيّ، وعلاقة المدير (طلال الجُردي) بالتدريس والنشاطات الثقافية والعلاقات العامة، مُثيران لضحكٍ يمتلك حسّاً انتقادياً ساخراً وقاسياً. لقاء المُخرج شاباً ثرياً، يريد خوض تجربة الإنتاج بشروطٍ محدّدة (وفرة الممثلات لرغبته في التعرّف عليهنّ)، امتدادٌ لحسّ السخرية في أفلامٍ سابقة لخليفة، بعضها قصير، كـ«تاكسي سرفيس» (1996)، الذي يُعرض أمام التلامذة. سخرية تتحدّى أقداراً ومصائر أحياناً، وتعكس بعض أسوأ الوقائع أحياناً أخرى.

لـ«قلْتلّك خلص» حكاية، تُختصر بسيرة مخرج يبحث عن خاتمةٍ للسيناريو، كبحثه عن حبيبةٍ وخلاصٍ «هاربَين» منه. هذا تفصيلٌ. الفيلم يتوقّف عند حالاتٍ وانفعالاتٍ ومسائل، تتراكم على فردٍ، وتضعه في مأزق وانكساراتٍ وخيبات. الآخرون . شخصياتٍ مُتخيّلة في السيناريو غير المُكتمل، وأخرى واقعية . يعانون ضغوطاً يمارسها عليهم من دون قصدٍ، فهاجسه متمحور أساساً على استعادة حبيبة، وبلوغ خاتمة، والحصول على خلاص. المشهد الأخير يكشف كلّ شيءٍ: أيكون هذا الـ«كلّ شيء» وهماً وخيالاً، أو واقعاً يؤدّي إلى ما يظهر في ختام «قلْتلّك خلص»؟

منذ البداية، يُقدِّم إيلي خليفة شخصية المخرج في حالةِ بحثٍ وركض. ينادي صديقاً له «يختبئ» منه في حقلٍ. يعثر عليه، فيُفهم من كلامهما ما يؤسّس المسار الدرامي اللاحق (100 دقيقة). التصوير (فادي يبرودي) يُشير إلى بساطةٍ في التقاط المطلوب. التمعّن في التفاصيل يؤكّد أنّ تنفيذ المطلوب مدخلٌ إلى تعرية وتفكيك، يساهم التوليف (ساندرا فتّي) في إكمالهما. القصص المروية عبر راويةٍ وشخصياتٍ تُكمل سيرة المخرج وارتباكاته. كاميرا تتجوّل في أمكنةٍ ونفوس، وقصص تُروى عن أناسٍ وانفعالاتٍ وعلاقاتٍ، وهذا كلّه يُختزل بشخصية المخرج نفسه، وبما يعانيه ويعيشه ويواجهه.

راوية الشابّ وإيلي خليفة: بحثٌ وصدمات (الملف الصحافي لفيلم «قلْتلّك خلص»)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

هذه فلسطين والابتسامة تصنع حياتها أيضاً

الحاصلُ في فلسطين حالياً يؤكّد، مُجدّداً، قولاً لجان . لوك غودار، أمام صورتين فوتوغرافيتين قديمتين، تلتقط الأولى يهوداً ذاهبين بحراً إلى فلسطين، أو «الأرض الموعودة» كما يُعلّق السينمائيّ؛ والثانية لفلسطينيين يغادرون، بحراً أيضاً، «إلى الغرق». هذا عائدٌ إلى عام 1948. يقول غودار بعد تعليقه هذا: «اليهود يلتحقون بالمتخيّل (الروائيّ)، والفلسطينيون بالوثائقيّ».

يُستعاد التعليق الآن، بعيداً عن أي تفسير غودارِيّ، يمتزج فيه الواقع والتاريخ بالسياسة والاحتلال، والفنّ بالأخلاق. ما يصنعه فلسطينيّو القدس وغزّة، ومدنٍ أخرى، يرتقي بالفنّ إلى مصاف الوثائقيّ، أي الواقعي، فالبلد لهم، والواقع يصنعونه، والتوثيق يحضر، فوتوغرافياً وأشرطةً. الوثائقيّ واقعٌ. الروائي متخيّل، وإنْ يستند إلى واقع.

التعليق الغودارِيّ خبيثٌ، وخبثُه سينمائيٌّ جميلٌ وحقيقيّ. الصورة الفوتوغرافية تترافق وتسجيل أشرطة. الوجوه المبتسمة لفلسطينيات وفلسطينيين، الموثّقة بصُور وأشرطة، تُحيل الواقع إلى فعل، يُساهم في معركة صمودٍ وبقاء. الوثائقيّ يؤكّد حقّاً للفلسطيني في بلده وأرضه وتاريخه وذاكرته وراهنه. الوثائقيّ يصنع معجزة البقاء، وبهاء الصمود. الآلة الإسرائيلية قاتلة، وهذا معروف. لكنّ الفلسطيني يعي أنّ المواجهة قدرٌ، وعلى المواجهة أنْ تلتزم موقفاً أخلاقياً، يتجلّى بقول لمُقاتل فلسطيني، يظهر في فيلمٍ تسجيليّ قديم، يستعيده مهنّد اليعقوبي في «خارج الإطار، ثورة حتّى النصر» (2016): «لا يستطيع أيُّ مقاتل أنْ يُواجه آلة حربية، كالتي يمتلكها الإسرائيليون، ما لم يكن هذا المقاتل يملك قضيةً عظيمة يُقاتل من أجلها. حبُّنا الكبير لوطننا أكبر من كُرهنا لعدوّنا. الحب دافعنا لا الكراهية. لهذا السبب، سننتصر».

> حبُّنا الكبير لوطننا أكبرُ من كُرهنا لعدوّنا

المسألة الأخلاقية غير معنيّة بأي تخاذل أو تراجع. الحبّ غير مرتبط بخضوع أو استسلام. المُقاتل ليس حامل سلاح فقط، يريد استعادة بلدٍ وأرضٍ وتاريخ وشَعب. كلّ فردٍ مُقاتل، بحجر أو تشبثٍ بمنزل أو نظرة تحدٍّ أو توثيق لحظة. العيون . التي تُتوِّج ابتسامات فلسطينيات وفلسطينيين يعتقلهم جنود الاحتلال . تقول أخلاقاً وحبّاً أقوى من كلّ قيدٍ. الانتصار غير محسوم، فالقاتل وحشٌ، ومَن يُسانده، دعماً أو قولاً أو مالاً أو صمتاً، أكثر وحشية منه. لكنّ الحبّ باقٍ، وفعل الحبّ أكثر وعياً من جهلٍ وحقدٍ وعَماء. الحبّ والابتسامات، كذاك النور المُشعّ من العيون، يستفزّ القاتل، ويدفعه إلى مزيدٍ من عنفٍ، يعتاده الفلسطينيون والفلسطينيات، ويصمدون أمامه بأنواعٍ شتّى. الحبّ فيهم يجب أنْ يكون أقوى من عنف القاتل. يجب أنْ يبقى، وهذا ليس انكفاءً أو قبولاً بمهانة، فالحبّ هذا لن يكون ضربة على خدٍّ أيمن ثم أيسر، بل فعل حياة أقوى من وحشية القاتل وجنونه.

هذه ابتسامةٌ وذاك نور. لكنْ، هناك أيضاً دمع وقلق. هذا طبيعي. هذا حقيقيّ. هذا يوثّق راهناً، فيصنع حياةً.

أكتبُ هذا في منزلٍ، في مدينة بعيدة عن عنف الإسرائيليّ ووحشيته، وعن بهاء الابتسامة الفلسطينية والنور الساطع من عيون شابّة، تقول إنّ الحاصل سيُقوّي عزيمة البقاء والتحدّي، وإنْ تأخّر الانتصار.

أكتبُ. لا شيء أملكه سوى الكتابة. أما الفعل الحقيقي، فهناك، وهناك يُدعَون فلسطينيين وفلسطينيات، وهذا كافٍ.

نديم...

فلسطينية توثّق جرحاً إسرائيلياً في باب العامود في 23 إبريل 2021 (أحمد غرابلي/ فرانس برس)

أقوالهم

هذا العام، الأفلام المُرشّحة لـ«أوسكار» جيدة لا عظيمة. لكنْ، في أجزاء من العالم، لن تُشاهَد الأفلام على شاشات كبيرة، فالصالات مغلقة، ومشغّلوها يعانون خسائر بسبب كورونا. عند استلامها جائزة أفضل ممثلة، قالت فرنسيس مكدورماند (الصورة): «شاهدوا الأفلام على أكبر شاشة ممكنة». بدا الأمر كأنّه صرخة يائسة، طلباً للمساعدة.

محمد صبحي

الحضور النسائي طاغٍ في «أوسكار 2021»، إذْ تُوِّجت 15 امرأة بـ17 جائزة من أصل 24 فئة، كأفضل صوت وتصميم إنتاج وسيناريو أصلي، والأخيرة لـ«شابة واعدة»، عن نساءٍ تعرّضن للاعتداء والتعنيف. «نتفليكس» تُعتَبر أكثر جهة إنتاجية حصلت أعمالها على جوائز هذا العام: 7 من 35 ترشيحاً، وأبرز فوز لـ«مانك» (الصورة).

حميدة أبو هميلة

أفعالهم

Loco Por Ella فيلم إسباني (مجنونٌ بها) لداني دو لا أوردن، تمثيل سوزانا أباتويا (الصورة) وألفارو سرفنتس: بعد تمضيته سهرة ممتعة معها، يكتشف آدري، بعد تفتيشه في حقيبتها اليدوية المنسية عنده، أنّ كارلا مُقيمة في مصحّ للاضطرابات النفسية، فيُقرّر الدخول إليه لملاقاتها. هناك، سيكتشف أموراً كثيرة عنها، كانت مخفيّة عليه.

The White Tiger فيلم أميركي هندي لرامان باهْراني، تمثيل بريانكا شوبرا جوناس (الصورة) وأدْراش غوراف وراجْكومار راو: مقتبس عن رواية بالعنوان نفسه لآرافند أديغا، يروي الفيلم حكاية بالْرام، الشاب المنتمي إلى طبقة العبيد، الذي يجهد في تحقيق التحرّر من العبودية لجماعته، فيُواجه تحدّيات شتّى وخطرة، ويضطر لاتّخاذ مواقف مختلفة.

أخبار

◆ أعلنت «نتفليكس»، قبل 3 أيام، أنّ الجزء الثاني من السلسلة الفرنسية «لوبين»، التي عرف جزؤها الأول نجاحاً كبيراً في العالم، سيبدأ عرضه في 11 يونيو/ حزيران 2021، بعد وقتٍ على إعلان سابقٍ لها بأنّ الموعد سيكون الصيف المقبل، من دون تحديد موعدٍ واضح حينها. الإعلان الجديد مُرفق بشريط إعلانيّ ترويجيّ يُعرض للمرّة الأولى في تاريخ إصدار بيان الإعلان. وبحسب «فرانس برس»، التي نشرت الخبر، فإنّ «نتفليكس» دعت مستخدميها إلى «أنْ يحزروا تاريخ بدء عرض الجزء الثاني، من خلال أحجية مطروحة على (تويتر)، ونجح بعضهم في اكتشاف الموعد الصحيح، بالتوقّف عند توقيت نشر التغريدة: الساعة 11 والدقيقة 6، وربطه بالموعد المختار، أي 11 يونيو/ حزيران (المقبل)». وذكرت «نتفليكس» سابقاً أن الجزء الأول من السلسلة (بدأ عرضه في 8 يناير/ كانون الثاني 2021)، عرف نجاحاً كبيراً، «إذْ شاهدته 70 مليون أسرة في 28 يوماً فقط»، بحسب المنصّة. يُذكر أنّ عمر سي يؤدّي دور أرسان ديوب، «المعجب باللص الظريف أرسين لوبين»، والعمل مستلّ من رواية موريس لوبلان بالعنوان نفسه. وديوب يستلهم، في أجواء باريسية معاصرة، تصرّفات بطله، «لرفضه الظلم الذي أصاب عائلته».

◆ في 19 مايو/ أيار 2021، ستُفتح صالات السينما في فرنسا، فقرّر موزّعون ومنتجون إطلاق 20 فيلماً في اليوم نفسه، كافتتاحٍ سينمائي للصالات مجدّداً، علماً أن الموعد هذا معقودٌ أيضاً على غالبية المراكز الثقافية. لكنّ مسؤولي شركات عاملة في هذا القطاع لم يُعلنوا، قبل أسبوع واحد من الموعد المحدّد، «اتفاقاً لتنظيم مواعيد إطلاق الأفلام في الصالات، وفقاً لما كان يأمل به كثيرون منهم، انطلاقاً من خشيتهم من حدوث فائض في الأسابيع الأولى، فهناك نحو 450 فيلماً يُنتظر عرضها»، كما في تقرير لـ«فرانس برس» قبل يومين. والحدّ الأقصى المسموح به لعدد المُشاهدين في الصالات محدّد بثلث عدد المقاعد في كلّ واحدة منها. إضافة إلى الإنتاجات الفرنسية، الموجودة بين الأفلام الـ20 تلك، هناك أفلام أجنبية، كـ«فولينغ» للأميركي فيغو مورتنسن (دراما عائلية عن الشيخوخة والمرض وعلاقة أب بابنه)، و«ثمل» للدنماركي توماس فينتربيرغ، الفائز بجائزة «أوسكار» أفضل فيلم أجنبي، في النسخة الـ93 (26 إبريل/ نيسان 2021).